﴿ نصيحة في معالجة فضيحة ﴾

البغايا على قسمين مسافحات ومن اللواتي يجاهرن بالفاحشة ولهن في مدن القطر المصري . مواخير رسمية يتخذنها بمعرفة الحكومة التي تكشف عليهن أطباؤها الكشف الطبي وتعطيهن براآت تعلن سلامتهن من الامراض المعدية وتأخذ منهن رسوماً مالية كما هو الشأن في مدن أوربا . . وذوات اخدان وهن اللاتي يزنين سراً ولهن أخدان «زبونات» مخصوصون وكان العرب يسمونهن ذوات الاخدان ويكنى عنهن في البلاد المصرية لهاته الايام بصواحب البيوت السرية. وقد عزمت خيرا الحكومة المصرية أن تنقل مواخير المسافحات رسميا من داخل المدن وتجمعها من احشائها الى بقعة مخصوصة من كل بلد وقد أعلنت أخيراً هذه المواخير في الاسكندرية فكانت ٨٢ ماخوراً، قالت جريدة المصير «أي عبارة عن بلدة صغيرة من بلاد القطر» وزادت عليها جريدة السلام بقولها «لو أضيف اليها المحلات المستترة لكانت بلدة كبيرة تقتضي مأمور مركز أو قائمقام»

ونحن نقول إن صواحب البيوت السرية بكدن يكن من المسافحات لانهن انما يالفن بالاستتار من الحكومة هرباً من الكشف الطبي ومن أداء الفروض على أمثالهن من المسافحات ولا بد في كل بلد من وجود ذوات أخدان يتحامين حتى البيوت السرية ويسترن وأخدانهن من كل أحد فاذا فعلنا هؤلاء ومن لا يحصين الا بالحرص والحدس الى أولئك اللواتي قدرن بأهالي بلدة كبيرة تجلى لنا مقدار ضرر حرية الفحش واهمال

التربية الدينية التي هي الدواء الوحيد لهذا الداء المبيد، وعلمنا انفاق حاجة أي حاجة لاستبدال المدارس الوطنية بهذه المواخير الجهرية والسرية وهيهات ان يقاومها مثلها عدداً والشر أغلب، والفحش أرغب، فالتربية الدينية التربية الدينية! اعالج لوجها داء البلاد قبل استحكامه، وانا شوا بها الوطن من مخالب حمامه، فالفسق مدعاة الخراب والدمار، وما للظالمين من أنصار

سجايا العلماء (*)

العلماء والحكام من مجموع الامة بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الانسان، فصلاح حال العلماء والحكام يصلح حال الامة، وفساد حالهما مفسد لحال الامة بأسرها، فاذا رأيت الكذب والزور والرياء والنفاق والحقد والحسد واشباهها من الرذائل فاشية في أمة فاحكم على أمرائها وحكامها بالظلم والاستبداد، وعلى علمائها ومرشديها بالبدع والفساد، والعكس بالعكس ولا يصدنك عن الجزم بهذا الحكم المؤرخون الكاذبون، والشعراء الطاووس، الذين يرفعون هيا كل الاطراء، وينصبون قنائيل المدح والثناء لكل رئيس من أولئك الرؤساء، بما ينشؤونه من الجرائد، وما ينظمونه من القصائد، ولا تعول في الاحتجاج والاستدلال، الا على الآثار والاعمال، فهي التي تشرح الحقائق، وتترجم عن السجايا والخلائق، من غير كذب ولا محاباة، ولا مصانعة ولا مداجاة، خذ بيد عقلك هذا الميزان، وطف به جميع عالم الانسان، يظهر لك على ما في الضمائر، ويطلعك على مخبآت السرائر، ويبين لك الراجح من المرجوح، والعادل من المجروح، بشرط ان تقيم الوزن بالقسط

(*) فاتحة العدد الخامس والعشرين الصادر في يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣١٦

ولا تخسر الميزان ولا تطغ فيه كما أشار الى ذلك القرآن الحكيم

اذا التزمت الشرط فلا ريب انك لا تقيم وزنا لكثير من زعم الدهماء انهم يوازنون الجبال ، ويرجحون في الفضل والكمال ، وربما رجح في قسطاسك المستقيم من ينقصه وزنه أكثر الاقران والامثال

قلنا لا يعول في الاستدلال على حال الانسان الا على أعماله ، لان الاعمال تنشأ عن الاخلاق والملكات الاعتقادية والادبية ، ولا إخالك تذهل عن كون الكلام من جملة الاعمال اللسانية ، ودلالته مقبولة فيما نحن بصدده من حيث كونه مظهرا لمعلومات المتكلم ، ومجلى لاخلاقه وآدابه ، لا من حيث مدلول الالفاظ في المدح والذم ، فان هذا هو الذي لا يعول عليه ، الا بعد تطبيقه على ما في الخارج وشهادة الاعمال والآثار له

من علامات علماء السوء الذين يفسدون آداب العامة واخلاقهم ، ويزعزعون اعتقاداتهم وأديانهم ، الاعتصار لانفسهم الخبيثة ، وحظوظهم واهوائهم الباطلة ، بتوليد الاعتصار للدين ، والغيرة على الحق ، فيذمون من يحسدون ، وينالون من دينه وعرضه قولا أو كتابة ، بحيث يوهم أحدهم سامعه أو الناظر في كتابته انه يعتصر للدين ، ويبين الحق من الباطل ، وينقسم هؤلاء الى أقسام ، منهم من لا يذم الا ما يراه باطلا ، ومن يعتقد صدور الباطل منه ، ومن أدلة كذبه في دعواه اذا لم يذم الا الباطل حقيقة كونه يأتي بهذه المذمة غيبة ، ولا ينصح من جاء بالباطل بينه وبينه ، وكونه يجب ان تشيع الفاحشة وينتشر الباطل حيث لم يسع بمنعه من قبل من جاء به ، وكونه يمدح صاحب الباطل في وجهه ويعظمه ، بدلا من نصيحته وتقريعه ، وكونه ينكر ما نسب له امام مذموم أو بعض ذويه سيما اذا كان المذموم ذا مكانة عالية ومنزلة سامية ،

وكون يدفن الحسنات ويعلن السيئات الى غير ذلك مما لا يخفى على ذوي البصائر ، ومنهم من يريه حسده وهواه الحق باطلا والصحيح فاسدا ويكفيك عمى بصيرته دليلا على كذبه في دعواه الانتصار للحق أو الغيرة على الدين ، ومنهم الذين يقولون كذبا ويختلقون افكا لا يكتفون باخفاء المحاسن والمناقب ، وابداء المساوى والمثالب ، بل يتذمحون ويتجرمون ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (أنه كذب) أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ، ومن علاماتهم انهم لا يكادون يعترفون بخطأ بل يؤولون لانفسهم ولمن يوافق قوله اهواءهم ولو بتحريف الكلم عن مواضعه والخروج باللغة عن أساليبها كما يفعلون للغيرة والازراء بمن يحسدونه ومن لا يطابق قوله أغراضهم وأهواءهم وان لباب الحق كما علمت

من علامات علماء الاخرة وأنصار الحق الذين يهتدى بهديهم ، وتصلح أحوال الامم بالاقتداء بعملهم ، أنهم اذا رأوا معروفا وخيرا من أحد اخوانهم يذيعونه ، وينوهون به ويثنون على صاحبه بما هو أهله ، واذا رأوا سوأ وأمرا منكرا يستترونه وينصحون فاعله من غير ان يشعروا أحدا آخر به فان أصر على منكره عامدا متعمدا وكان المنكر مما يتعدى ضرره حذروا منه من يخشى عليه منه سواء كان في غيبة صاحب المنكر أم في مشهده ، ومن علاماتهم أنهم يقبلون النصيحة من أي ناصح ، ويقابلون عليها بالثناء والشكر ويرجعون عن الخطأ متى علموا به ، ضالتهم الحكمة ينشدونها حيث وجدوا ويأخذونها حيث وجدت

كل من نظر في كلامنا هذا يعلم بما أعطيناه من الفرقان ان علماء الحق أسوا أندر من الكبريت الاحمر ، وان علماء السوء أعم وأكثر ، ولا يغتر

بالعمائم المكورة، والأردان المكبرة، والأذيال المجرة، وان كانت محل غرور الاكثرين، والعنوان عندهم على العلم والدين، واذا تنبه لعدم الاغترار بالمظاهر، وعول على الاستدلال بالاعمال والمآثر، وأحب معرفة سيرة بعض رجال العلم والدين مما أشرنا اليه من السلطان المبين، فانا نقص عليه خبر رجلين منهما مع الاشارة الى ضدهما فنقول :

ألف حكيم الامة الاستاذ الفاضل والعلامة الكامل الشيخ محمد عبده (رسالة التوحيد) التي لم يؤلف مثلها في الاسلام فطفق بعض علماء السوء يوسوسون الى أوليائهم ويوحون الى تلامذتهم وأصحابهم أن هذه الرسالة فيها نزغة اعتزالية وبعضهم تورع قال ان فيها انكار الوحدانية وهذا في غيبة المؤلف وفي مشهده يثنون عليها أطيب الثناء ويطرونه عليها أشد الاطراء ومنهم من قيد ذلك الثناء والشكر بالكتابة وهؤلاء — كما علمت — من الذين يجادلون الحق باطلا والحالي عاطلا حسداً أو عمى بصيرة

وقد كشفنا بيتهم من غير أن نسرف أعيانهم في مقالة مخصوصة نشرناها في العدد ١٢ من جريدتنا

هل أتاك حديث علماء الآخرة وأنصار الحق وما كان من شأنهم تلقاء « رسالة التوحيد » . قرأ الرسالة العلامة المحدث الذي انتهت اليه رئاسة علوم اللغة والحديث في هذه الديار لا سيما علم الرواية للحديث الشريف ولاشطار العرب والمخضرمين ألا وهو الاستاذ الفاضل الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي فتوقف في بعض حروف وفي بعض مواضيع منها فولى وجهه شطر بيت الاستاذ المؤلف حتى اذا ما جاءه طلب منه أن يقرأ الرسالة معه فقرأها في يومين وتذاكرا فيما توقف فيه فأزال له

الاستاذ المؤلف بعض ما أشكل عليه واعترف له بالاصابة في بعض ما انتقده وانتهى الامر بشكر كل منهما للآخر. ومن حسن أخلاق الاستاذ المؤلف واعترافه بالحق وشكره عليه انه قص هذه القصة على تلامذته في الجامع الازهر وأثنى لهم على اخلاق الاستاذ الشنقيطي وعلمه ودينه وقال هذه هي مزايا العلماء . أما الانتقاد الذي اعترف المؤلف فيه للمنتقد بالاصابة فهو نحو قوله « دعيت لتدريس » وكان ينبغي أن يقول « دعيت الى تدريس » فسبق القلم هذا من حيث اللفظ وأما من حيث المعنى فمسألة البحث في خلق القرآن ، انتقد الشنقيطي بأن فيها مخالفة لما التزمه المؤلف من سلوكه في العقائد مسلك السلف، قال والسلف لم يبحثوا في هذه المسألة فاعترف له المؤلف بذلك وقال اني خالفت في هذه المسألة بخصوصها الشرط لاهميتها واشتباه كثير من الناس فيها

لم يكتف الاستاذ الشنقيطي بالشكر للمؤلف في مشهده وعلى سمعه على هذا الاثر الجليل بل قرظه بقصيدة غراء ذات حكم ونصائح وجاء الرواق العباسي في الجامع الازهر الشريف ولما حشر العلماء والطلاب لسماع درس الاستاذ المؤلف استأذن منه بقراءة القصيدة عليهم وصعد كرسي الدرس وافتتح الكلام بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على خير الانام وأنشد القصيدة والناس مصغون والاستاذ المؤلف بينهم وهي :

ألا ان خير الناس من كان قصده ... لنفع الورى أو كان في الفضل زهده
لقد مات دين الله واضمحل عقده ... فأحياه بالذكرى (محمد عبده)
فذكر من يخشى بذا الدين وحده ... ومن كان لا يخشى وبالله أيده
ونشر للاسلام من بعد طيه ... لواء على الاعلام يخفق بنده
ونوه بالاسلام تنويه ماجد ... بتنويهه بالدين يزداد مجده

وجدد للأنام توحيد ربهم براهينه المهداة إذ طال عهده
براهين عقل ثم نقل مبينة حباهم بها عفوا وما جد جده
وسار بها سير المجد نصيحة لطالب دين الله فاشتد عقده
ولم يستعن في ذا الرئيس وجنده ولكن جنود الله والعلم جنده
ولم يستعن أهل الإدارة كلهم ولا بعضهم فالله منه ممده
ولم يستعن بالازهريين انهم اذا استنجدوا زندا وري قبل زنده
ولم يتخذ حكم المحاكم عدة ولكن حكم الدين قسطا يعده
ولم يعتبر في حسن تأليفه الرضى تقاريظ من في الجهل لم يدر حده
ولم يسترق تأليف أستاذه الذي به لاح برق العلم يحدوه رعده
وخير كلام المرء ما زان نفسه بصدق حديث ليس يمكن رده
وشر مقال الحر ما شان ربه ببهتان قول لا يحاول جحده
فلازم دليل العقل والنقل صادعا بأمر الله الخلق يلزمك رشده
ولا تعدون عيناك عنه فانه إلى الله هذا الخلق طرا مرده
ولا تسلكن سبل الضلالة سادرا ففيها ترى المخذول يجتد كده
وإياك والتقليد في الجهل انه بناء لدى التحرير يسهل هده
وجادل بسلطان مبين أولي النهي به كل من ماراك قهرا ترده
ودع عنك قال الحسود وبغيه ففي نار غيظ الحقد يشويه حقده
ودع عنك بهتان الجهول وغيه فاخوانه في الغي كل يمده
فهاموا كهوم الحوت في بحر جهلهم وفي بحر طغواهم وقد طم مده
فان تعددن ما حرفوه وصحفوا لجهلهم بالعلم يتعبك عده
أراك بنصرت الدين بالحق حسبة اليها القوي المقدام يشتد شده
وننصر مولانا ونعلم انه هو الله فقر العبد منه ووجده
وينصرنا المولى ويصدق وعده وأصدق وعد النصر لا شك وعده
فدونك نصحا مخلصا واعلم انه هو الدين نصح يا (محمد عبده)
وأحمد رب الناس سرا وجهرة على كل حال يلزم الناس حمده